بسم الله الرحمن الرحيم

البداية

الحمد لله رب العـالمين والصـلاة والسـلام على خـاتم المرسلين وعلى آله وصحبه والتابعين.

أما بعد

فتمر الدعوة الإسـلامية في بعض حقبها التاريخية بلحظـات تراجع وانكسار، له أسبابه المعروفة عند المعنيين بالفكر الدعوي، ولعل من تلك الأسباب (**حصول الفراغ القيـادي**) وفقـدان السـاحة الدعوية للقيـادات الشـعبية اللامعـة، والرمـوز الصـحوية البراقـة، الجامعة بين العلم والفكـــر، والرؤية والقبـــول، ولـــولا القبـــول والمماسة الميدانيــة، لما كـانت الرمــوز، ولما عُــرفت الكــواكب العلمية الرائعة!! لأننا دائمـا، وفي كل مناسـبة نؤكد على العلمـاء النزول للسـاحة، وتـرك المكتبـات والمسـاجد، ولو شـيئاً يسـيراً، ليكون الخطـاب الـدعوي حاضـراً، وفي كل مناسـبة، وذلك جـزء من محبة العالم، وانتشار ذكره وفضله بين الناس.

لأنه كم من عــالم وفاضــل، اخــتزل فضــله وعلمه في التأليف، وفي الدروس العلمية المعزولة، وأغفل جانب الناس، ولم يحتك بهم، أو يشاركهم أفرحهم وأحزانهم ..!! فمات ولم يحضره إلا القليل، وجماهير المســلمين لم يهتموا بوفاته !!.

ولكن ثمة علمــاء.. سـأل النـاس عنهم واهتمـوا بهم، لأنهم بلغـوا شـيئا من مقاصد القيـادة، والصـدارة الشـعبية والاجتماعيـة، نحو الأئمة المشـايخ الثلاثـة، العلامة ابن بـاز والألبـاني، وابن عـثيمين رحمهم اللــه، حيث أكــرمهم الله تعــالى بــالعلم الشــرعي ، ولم ينعزلـوا بـه، بل تواصـلوا مع النـاس والحيـاة، وجربـوا علـومهمم، ونشروا مواعظهم، وقدموا جهدهم وخدماتهم للناس، وهذا شــكل من أشكال القيادة الدعوية.

وقبل ذلك كله التوفيق الإلهي، لأن الله تعالى إذا أحب عبــداً كتب له القبــول في الأرض، والعــالم يوسع ذلك القبول، بحسن عمله، وصدقه ودنوه من الخلق.

بينما الآن تعيش الصحوة الإسلامية، لا سيما في أماكن حساسـة، وذات أهمية بالغة في حس كل مؤمن، فراغاً قيادياً، مما نتج عنه التنـازع والاختلاف، وسـيطرة الليبرالـيين والمنـافقين على مقاليد الأمـور، وظهـور التذبـذب الصـحوي، وتـأخر صـدور المواقف الشرعية تجاه الأحداث السريعة، وترك الساحة العلمية الشـرعية كالكلأ المباح، يلج فيها من شاء، وبما شاء!!.

وهـذا له أسـباب كثـيرة، من أهمها (الفـراغ القيـادي الصحوي) الذي يشـعر الجميع بأهميتـه، وهيبتـه، ونفـاذ كلمته عندهم.

كان ابن باز رحمه الله إذا تكلم أو أفـتى أطـرقت الأمة لـه، وأصـغى الجميع لتوجيهـه، بما في ذلك ضـعفاء النفوس والأشرار، لأنه كان يحظى بشعبية جارفـة، لم تبق طريقاً أو جبلا إلا طافت عليه، وقضي الأمر، حـتي إن بعض العلمـانيين والمسـتغربين، لم يجـرؤ أن يعاند الشيخ رحمه الله، ولو في أدنى الأمور!!

بل كـانوا يظهـرون له الـود والمحبة والإجلال، لأنه كـان ظهـراً للصحوة، يسندها في كل كلمة، ويظهرها في كا مناسبة.

وعُـرف عند النـاس بصـدقه ورفقه ومحبته للخـير، وتباعـده عن الشـهرة والظهـور ... ومع ذلك أظهـره الله في حقبه تاريخية معينة، كان له فيها الدور الريـادي، والمنصب التـوجيهي، والمعلم القيادي.

ولعل من أسباب ظهوره ولموعه رحم الله:

1) سعه علمه الغزير، وحسن توظيفه له.
2) اتساع صدره للناس، وإصغاؤه لمشكلاتهم.
3) الـدور الاجتمـاعي الخـدماتي الـذي مارسـه، بحيث أنه بـات كريما مضيافاً يقضي الحوائج، ويشفع للفقـراء، ويصـلح بين الناس.
4) حسن خلقه وسـلامة صـدره، الـتي جعلته يسـتوعب الجميع من الأخيار وسواهم،

وهــذه بضع عوامل تيســرت للشــيخ العلامة ابن بــاز رحمه اللــه، واســتثمرتها الصــحوة الإســلامية في إبــرازه وجعله شــيخ البلاد، ومفتي الأمة، ومرجع نوائبها ومشكلاتها.

وربما أن الشيخ ابن باز رحمه الله، لم يكن يطمح في ذلك أصــلاً، لطيبته وحسن تدينــه، وانشــغاله بمهــام رســمية ضــخمة، ولكن الرؤية الصحوية الراشدة تلك الفترة، رأت من الضروري، تصــدير الشيخ ابن باز والاستفادة من خصاله الجميلة.

وقد يقـول قائل : إن السـلطة هي صـدرت الشـيخ ابن بـاز رحمه الله وليس الصحوة، ونقـول، اسـتفادت الصـحوة من ذلـك، فجـاء خطــاب الشــيخ رحمه الله منســجماً مع دعــاة الصــحوة تلك المرحلة، واستطاعوا نقله من نطـاق ضـيق، إلى مسـاحة عالمية مترامية الأطراف.

وفي النهاية، فإن الشيخ رحمه الله كـان عالمــاً، عميق العلم والدين، صـادقاً ورعا من المقبـولين في الأرض، وذلك فضل الله يهبه لمن يشـاء من عبـاده، وهو واسع المن والفضل سبحانه وتعالى.

والمحصل هنا أن الصـحوة الإسـلامية من مشـكلاتها، قلة القــادة والرمــوز أو انعــدامهم أحيانــاً، بســبب عــدم الاهتمــام أو ضــبابية الرؤيــة، أو ضـعف التيــار الــتربوي والفكــري وهــذا بلا ارتيــاب أنه يفقـدها مكانتهـا، ويضـاعف من سـلبياتها وأخطائهـا، لأن الــدعوة الإســلامية ولادة خلادة، وليست عديمة أو شــحيحة، ولــديها من الــتراث العلمي الغزيــر، ما يؤهلها لصـناعة القـادة، وبنـاء الــرادة، وقراءة المستقبل واستشرافه.

وهذا سيكون حلاً سحرياً من حلـول أخـرى عظيمـة، تجعلها الأمة كالدرع المتين تجاه فتن قادمات، وعوا صف مدلهمات.

لأن القيــادة الصــحوية إنجــاز وتجــاوز لمــرحلات، قد تعجز عنها الجهود الدعوية المحدودة، ذوات الحضور السطحي والمتواضع.

ونظـرا لشـدة الأحـداث والتهابها في المملكـة، وتفـرعن الاتجـاه الليبرالي، يقف المشهد الصحوي حائراً ومتخبطاً أمام ما يجــري، وباتت المواجهة الفكرية محــدودة ومبعـثرة، لا يوجد لها قـادة، أو رؤوس تخوض البحر الخضم، وترد المبطل، وتـدفع بالسـفينة إلى بر الأمان.

ولـذلك كله أحببت أن أنبه على هـذه المسـألة المهمـة، في المشـهد الـدعوي المحلي، لاسـيما وأن ثمة رمـوزا قد تراجعوا وتغـيروا أو تطـوروا بـزعمهم، ولم يعد لهم من الحضور والشعبية، إلا اليسير!! وبـات نقـدهم أكـثر من مــدحهم، وتخلى عنهم أصــدقاء الأمس، وأضــحت خطـــوبهم في أمـــاكن ليست للإســـلاميين بمحــــل، ويُمدحون على غير ألسنة الإسلاميين والله المستعان.

ظهر عاشوراء المحرم
1432هـ
16/12/2010م

الأسباب

1. ضخامة العبء:

حمل الـدعوة مسـئولية عظيمـة، لأنها تتجـاوز مسـألة إلقـاء الـدرس أو المحاضـرة أو التـأليف إلى أن تجعل العـالم رجل عامة يتصدر الناس، ويُصغى لحديثه، ويهتم بكلامه وفتاويه.

ومثل ذلك يتهيبه بعض العلمـاء، ويـؤثرون السـلامة، والاكتفـاء بدور أوبدورين محدودين، ولذلك أسباب منها:

1. الانشغال بالاهتمام الأسري ، وتربية الأبناء.
2. خـوف المزاحمة للمنفـذين، لاسـيما إذا أسئ الظن بـه، واعتقد أنه يسعى إلى مجد كبير، وعز رفيع!!
3. تبعـات الانهمـاك الاجتمـاعي، الـذي يظن بعض العلمـاء، أنه مشغلة عن الأوراد الروحية، والخلوات العبادية.
4. كثرة الانتقـاد والاعتراضـات من الخصـوم والحسـدة، وهـذه طبيعة الحياة، ما من عالم أو داعية يبرزه الناس، إلا كان له من أقرانه غل وصـدود، كما قـالت أم رومـان لعائشة رضي الله عنهما في حديث الإفك(**هوني على نفسـك الشـأن، فواللـه لقلمـا كـانت امـرأة قط وضـيئة، عنـد رجـل يحبهـا ولهـا ضـــرائر إلا أكـــثرن عليها**) اخرجـــاه في الصحيحين.

وتكمن ضخامة الدعوة في الأدوار التالية:-

1) البروز للناس دائماً، والحرص على نفعهم وقضاء حوائجهم.
2) التصـدي للنـوازل الشـديدة، والمشـكلات الكـبرى، وعـدم تمريرها بلا اعتبار.
3) إشعار الناس بالطمأنينية، وتثـبيتهم في المواقف الشـديدة، والأحداث العصيبة، لأن العلماء ورثة الأنبيـاء، كما صح بـذلك الحديث.
4) الإمداد العلمي والوعظي لهم، بحيث يتم تغذيتهم وتكـوينهم إسلاميا، وجعلهم درعاً حامياً للإسلام ورموزه العظام.

5) إشـراكهم في خـدمات دعويـة، وجهـود اجتماعية تشـجعهم، وتدعم خيريتهم، وتشغل مواهبهم للعمل والإصلاح والإفادة.

2. **خوف المواجهة:**

شـــبح المواجهة والصـــدام، يخيم على أذهـــان بعض العلمـــاء، ويعتقدون أن البروز الدعوي قد يضرهم ويوغل صدور الآخرين عليهم! لأن من مصلحة المتنفذ والمسـئول الكبـير، أن لا يـبرز عالم أو داعية، يكتسح الناس بعلمه، وحسن نشـاطه، بل يحب خمول ذكر هؤلاء! وهـذا صـحيح من حيث المبـدأ، ولكن البـارز دعويـاً لن يمـارس أعمـالاً ضـدية، فدروسه مرخصـة، وأعماله مفسوحة، وكلماته سـلمية، وخطبه دعويـة، لا يؤسس لنفسـه، ولا يحزب لذاته!!.

بل يخـدم الإسـلام، وهمة ازدهـار الـدعوة، ورجـوع النـاس إلى دين الله أفواجاً.

ثم ليعلم أن طريق الدعوة شائك بالعراقيل والمتاعب كما قال الله تعالي " **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (142)**"

وقـال تعـالى " **فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَـابَهُمْ فِي سَـبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَـــعُفُوا وَمَا اسْـــتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّـــابِرِينَ (146)**" والصبر مطية المؤمن في هذه الحيـاه، لأنه زمـان بلاء ونكد وشقاء ولولا ذاك لما كان للصـبر قيمـة، ولما مـدح أهلـه، وجعلـوا في أعلا الـدرجات " **وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا** " وقـال تعـالى: " **إِنَّمَا يُـوَفَّى الصَّـابِرُونَ أَجْـرَهُمْ بِغَيْـرِ حِسَابٍ** ".

إن الـدرس العلمي المحـدود، أحيانـاً مقلق لكل سياسي يـرى في الدعوة خطراً عليه أو في الإسلام ذهاب مجده وعزة!! مع أن العلمـاء ليسـوا طلاب دنيـا، ولا يسـعون لـذواتهم ! ولكن لرفعة هذا الدين، وإعزاز هذه الأمة.

كما قـال سـليمان عليه السـلام: " **أَتُمِـدُّونَنِي بِمَـالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ** "

وعرضت قـريش على رسـول الله كل المحـاب والوجاهـات فرفضـها رفضـاً قاطعـاً، وتلا عليهم "**فَـإِنْ أَعْرَضُـوا فَقُـلْ**

أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُـودَ". في حادثة السيرة الشهيرة!!

3. **غياب التثقيف القيادي:**

رغم أن في الإسلام إماماً للصلاة، وخطيب امة، وأمـير سـفر، وقائد جيش، وراعي أسـرة، إلا أن التثقيف بمفـردادات القيـادة الدعوية وواجباتها لا يـزال قليلاً لطروحـات أخـرى، عمت في الساحة الدعوية، رغم أن هذا الجانب مهم لسياسة المشـاريع، ووضع الخطـط، وتنظيم الـدورات والملتقيـات والمهرجانـات، ورسم رؤية الـدعوة المسـتقبلية، وصـياغة الـدعاة المـؤثرين ومواجهة المواقف الجسيمة.

كل ذلك يفرض على الـدعوة نشر التثقيف القيـادي، الـذي من شـأنه أن يبـني القيـادات، ويؤسس للعقـول النابهة ويجـدد الدعوة، ويقضي على مشكلاتها.

كثيراً ما يشتغل النزاع الـدعوي بسـبب انعـدام القـادة، وجفـاء الرموز الذي يئـدون شـعلة الـنزاع بحكمتهم وعلمهم الراسـخ، وقبـولهم المديـد، وهنا تكمن أهمية القيـادة الدعوية في ضـبط الأمور، وحقن الخلافات، وتوجيه الجماهير، وتوحيد الجهود.

ولا يمكن وعي تلك المسـارات بـدون نشر ثقافة التربية القيادية والإداريـة، عـبر المحاضـرات واللقـاءات والتـدريبات، والدروس العلمية.

وقد ظهر مـؤخراً شئ من ذلـك، ولكن لا زال محـدوداً، ولم يسـتفد من الـتراث الشـرعي في ذلـك، وأكـثر أدبياته مهتمة بنظريات غربية، وهذا قد يضـعف انتشـارها جماهيريـا، ويجعل بعض الدعاة متشككاً من فائدتها وجدواها.

هناك قيادات اجتماعية عـبر المسـجد والـبيت والقبيلة والإدارة الحكومية، والشيخ في حلقتـه، والمـدرس في مدرسـته، والأم في بيتها، والوكيل على مال موكله، وأشـباهها مما يمكن تنمية هـذا الحس من خلالهـا، إلى أن تصـبح قيـادة الـدعوة مطمحا للمحاضن التربوية والعلميـة، فينظـرون لها شـرعياً من خلال الأدلة الثابتة والشواهد التاريخية.

وتأمل السـيرة النبوية للنـبي صـلي الله عليه وسـلم يبرهن على ذلك، وأن الأمة بحاجة للقادة الموجهين،

والدعاة الرموز المؤثرين، الـذين يصـنعون بكلمـاتهم ما لاتصنعه الأسلحة والمـدرعات ..! ولكن المطلـوب القراءة والوعي.

4. <u>ضعف المحاضن التربوية:</u>

قد تهتم بعض المحاضن التربوية بهداية الإنســــــان، وتربيته إيمانياً، وتشـكر على ذلـك، ولكنها تهمل تأسـيس الفكـر، لـدى النوابغ والموهــوبين، حيث تعامل الجميع سواســية، ولا تخص بعضـهم بنـوع حـديث، أو شـكل خطـاب، بتأهيله مثلاً لإمامة أو خطابة أو رحله، أو رعاية أومتابعة، أو كتابة، أو ما شــاكل على ذلك.

وإذا أُهمل ذلك، فمن باب أولى أن لا يفكر في الفكر القيـادي، وإقناع الحضور بجدواه، وحاجة الدعوة الإسلامية إليه.

من مشكلات بعض المحاضن التربوية ما يلي:-

1) عدم الاهتمـام بـالنوابغ والموهـوبين ذوي الطمـوح الفكـري النادر.
2) التركــيز على نــوع واحد من التربية كالإيمانيــات ..! وليس البناء والإعداد.
3) عدم مسـايرة الواقـع، والاسـتفادة من المنجـزات الحديثـة، التي تخدم الدعوة، وترتقي بمستوى أدائها.
4) التزام أساليب تقليدية قديمة، وعدم التجديد والتطوير.
5) إهمـــال النـــواحي العلمية والفكرية في التربيـــة، وتعطيل أدوات التفكـير عند المسـتمعين، مما يعـني تخـرج دفعـاات جامدة، وبلا وعي وتأمل وتحرير!!

5. <u>عدم الانقطاع الدعوي:</u>

أي يمـارس الـدعاة مناشـطهم بكل عضـوية وتقليدية بـاردة، واجتزائية محـدودة، بمعـنى يمنحـزن الـدعوة سـاعات فحسب في الأسـبوع!! أو قد يـرى أن إلقـاءه محاضـره أسـبوعية، أو تسـجيل حلقة فضـائية كافية في بـذل الهم الـدعوي، وصـناعة القادة والرموز!!

لا، ليس هكـذا يتم البنـاء..! بل لا بد من انقطـاع دعـوي تـام، وبذل فكري زاخـر، وعطـاء اجتمـاعي هائـل، يجـذب النفـوس، ويصحح الأفئدة، ويخطف الأبصار ولكن قبل ذلك متسلح بالعلم والفكر والمصداقية، التي توحي بحسن التدين، واقتفاء السنة، ونبذ الشـــهرة والظهـــور، وإلا فـــإن ثمة أنـــاس تـــراهم على الفضائيات كل ساعة .... ولكنهم غير معنيين بما يردد! والناس لهم الظاهر والله يتولى السرائر.

لأن الظهور الفضائي بات فتنة لبعض صـغار طلبة العلم، وظل يسابق على الظهور، حتي قلت بضاعته، وهانت نفسه، وتورط في مزالق فكرية لم يخرج منها!.

وعلاوة على ذلك لا يـــزال بعضـــهم مصـــراً على المشـــاركة القضائية، والله المستعان.

6. الانعزال الدرسي:

بمعـــنى الانقطـــاع للمتن العلمي بطريقة تقليديـــة، دون ربط الـــدرس بـــالواقع، ووعي دلالات الكلام وإشـــاراته، أن وتحاشي تربية التلاميذ على معاني السعة والوعي والاستشراق التي قد توحي بها بعض المتـــون العلميـــة! وأيضا قد يعمد الـــدرس على تقديس المتن، وعـدم الخـروج عليـه، أو نقـده وتوجيه السـهام الفكرية إليه!!.

وهـذا المسـلك قد يخـرج جامـدين ولا يخـرج وعـاة تجديـديين، لاســـيما إذا توافق ذلك مع تقـــديس الشـــيخ لصـــاحب المتن العلمي، أو السير حسب رؤية الشراح والمحشّين.

فهذه حينئذ تكون نائبة فكرية، ذات بعد منهجي يسـتوجب علينا إصلاحه، وإعادة النظر في طرائق تدريس المتون العلمية!!

نحن نريد للدروس العلمية أن تكـون ذات مسـاحة واسـعة في التفكير ، تبسط الأدلة، وتنشر البراهين، وتنمي الحس النقــدي والعقلي عند الحضور، ولا تكبلهم، وتغل إبداعاتهم وتصوراتهم.

وكل ذلك يتم في شـــكل من الأدب والاحـــترام لســـائر الأئمة والمصنفين، لأن الحق أحق أن يتبع، ولا نكون عالة على عقلية

قديمة كتبت في ظـــــــــروف تاريخية معينة ولم تنتقل لواقعنا المعاش!!.

وأظن أن هــذه بــاتت من المســائل البدهية في التــدريس والتعليم، ولكن ثمة مشيخة لا يزالـون يتـأكلون على الماضـي، ويأبون التعرف والانتفاع بالحديث لشبه داخلية، لا تصمدد أمام الوعي الحضـاري والعلمي للإسـلام لأن لله يقـول: **" وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ " وقــال: " وأنز لنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس** ".

وقــال: " **وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّـمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ** " فكان الاعداد في السابق شحذ السيوف، وبـري السهام، والآن بـاتت صـناعة الصـاروخ والمـدرعات والنوويـات لردع الخصوم وإرهابهم " **تُرْهِبُونَ بِهِ عَـدُوَّ اللَّهِ وَعَـدُوَّكُمْ** ".

7. <u>تقصير الأتباع:</u>

يجعل الله عزوجل أحيانـاً في الأتبـاع قـدرة فكرية وذاتية ينتفع بها العلماء والشيوخ، فيعلون في أستاذهم ويبرزونه حتي يصير قدوة للناس وهو لذلك أهل ... لعلمه وفكره وحسن تدينه...

وهذا له آثار على الدعوة منها:-

1) إبراز قدوة ومرجعية للناس في تعلم الدعوة.

2) تحبيب الناس إليه.

3) تصديره لحل المشكلات وفض النزاعات.

4) إشعار الجماهير بالانتماء إلى رمز إسلامي قدير.

5) تهيئة لسان ناطق باسم الدعوة الإسـلامية، بحيث لا يفـتئت عليها المفـتئتون، أو يتنـازع الجـاهلون!! لاسـيما وأن بعض صغار طلبة العلم إذا حفظ كلمة أو كلمـتين أو اتضـنه عـالم شــــهير، ظن أن ذلك تصـــــديراً وزعامـــــة، فيفعل فعل المتعالمين المتعالين والله المستعان.

ولعل الإمام الشافعي رحمه الله كان من أول الناس اهتماماً وتنبيها على ذكر دور الأتبــاع حينما قـال:- " الليث كان أفقه من مالك، ولكن أصـحابه لم يقومـوا به "

<u>ومن القيام بالشيخ:-</u>

1) تبجيله ورعايته ودعمه.
2) تصديره للناس كقدوة ومثل يُحتذى به.
3) حمايته من المخاطر والأذيات.

8. <u>خفاء الطرح الواقعي:</u>

وهذا من نواتج ما سبق ذكـره كعزلة الـدرس العلمي عن واقع الناس ونسمات التفكـير الحـر، أو التعلق بالنغمة التراثية حـتي الممات! والعزوف عن الطروحات الجديدة.

فمثلاً بعض البـاحثين والـدعاة، يحتقر الرسـائل العلمية الـتي تقدمها الجامعات باعتبار أنها لا تخرج عن كتب الـتراث، وخالية من التجديد، وهذا ظلم فادح للرسائل الجامعية!!

بل فيهها خير كثير، وتحقيق، وتدقيق، وإضـافة واقعيـة، وهو ما نعنيه هنـا، وهو أنه يكفي لجودتها ملامسـتها للواقـع، واهتمامها بالشئون المعاصرة، لاسيما ما يتعلق بالمسائل النوازل، وما له أثر في الحياة الإسلامية الجديدة.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لابد للخطاب الدعوي أن يكون واقعيا ملامسا لحاجات الناس وشئونهم وشجونهم، وإلا انعـزل الدعاة عن الناس، وصارت الدعوة إلي الله شيئاً غريباً، لا يكاد الناس يهتمون به أو يفهمونه !!.

ومن الطـرح الـواقعي تسـوية اللغة وتحسـينها، بحيث تكـون سهلة ميسورة، خالية من الإغراب والتقعـر، الـذي يحـول دون الفهم والاسـتيعاب، كما قـال على رضي الله عنه **" حـدثوا النـاس بما يعرفونه أتريـدون أن يكـذب الله ورسوله".**؟!

9. <u>التباعد الميداني:</u>

يمعنى أن ليس للعالم الداعية حضـور ميـداني عند النـاس، بل هو منعزل عنهم وعن مشكلاتهم وعن أفـراحهم وأحـزانهم ...! يكتفي بالدرس أو بالتأليف، أو الظهور الموسمي والمناسباتي،

وهذا لا شك أنه لا يـبرز قـدوات، ولا يصـنع رمـوزاً تحفل الأمة بهم!!.

والميدانية هنا لها صور:-

1) الالتقـاء بالنـاس في مجـالس مفتوحة في الـبيوت أو الاستراحات.
2) مباركتهم أفراحهم، ومواساتهم في مصائبهم.
3) زيارتهم والسؤال عنهم.
4) خدمتهم وقضاء حوائجهم لمن يملك ذلك.
5) تناول قضاياهم علمياً وتربوياً، والدفاع عنهم.

وهذه الميدانية قد لا يحققها العالم بكل صورها، ولكن يحـرص أن يصيب منها ولو نزراً يسيراً، لئلاً يكون معزولاً بعيداً عن الناس!!

10-<u>التنازع الدعوي:</u>

قال تعالى: " وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ "

من أنكد أيـام الـدعوة وأشـدها مـرارة، عنـدما يتعـالى الـنزاع والاختلاف بين رموزها وأقطابهـــا، ويظل كل داعية يطعن في أخيه، أو يسفه جهوداً حميدة، ومشاريع جبارة .... حينها نـــدرك أنهم ليس لهم رأس يوحـــدهم، ولارمز يـــدفعهم، ولا أســـتاذ يهذبهم، ويوقف فتيل الفتنة، ويوحد الصـفوف، ويجمع الكلمـة، وهـذه من أهم الفـترات الـتي تسـتوجب علينا صـناعة الرمـوز والقـدوات، لئلا ننكشف أمـام النـاس ويسـخر منا السـاخرون، وتتداخل حظوظ النفس، وليس حظوظ الإسلام والدعوة !!.

وأما كون الرمز القيادي، والوجيه الدعوي، حلاً لمثل ذلك فللأسباب التالية:-

1) توقير الجميع له، واكتسابه شعبية هائلة.
2) حسن ظن الدعاة وطلبة العلم به، بسبب سعه علمه، ودقة إخلاصه وزهادته، وأنه ليس ممن يتطلب مجداً أو شهرة!!
3) ذيوع كلمته، وانتشارها للتنفيذ والعمل.

4) خلاصته حكماً من المتنازعين وتوجيهة بالمصلحة الدعوية العامة.

11-الجهود المتفرقة:-

والتي تكون من نتائج التحزب الدعوي المقيت، الذي يتعامل مع الدعوة بطريقة طائفية أو مذهبية، فلا يسمح ولا يتعاون، وتجري موانحه وخدماته على الأفراد والأتباع!! وهذه من بلايا الدعوة المعاصرة، وإن كان قد شقي الأقدمون بالتعصب المذهبي الفقهي، فإن المعاصرين يشقون بمثل **هذا التحزب المقيت الذي ينتج عنه ما يلي:-**

1) تفريق الجهود، وتفتيت الطاقات الفاعلة.
2) إجهاض المشاريع الإصلاحية الكبرى التي تغير الأمة والمنطقة على نحو وسيع.
3) تسفيه بعضهم بعضا، حيث يظهر التنافس غير الشريف، ويتلاسنون عبر الكتب والدروس والمواقع الالكترونية.
4) اعتقاد كل فريق أنه وصيّ على الدعوة، عارف بنهجها، سليم الإرادة والفعل.
5) ضعف الانتاج.
6) اضطراب العوام من تلقاء ما يشاهدون، لا سيما وأننا نعيش في فضاء مفتوح ، مدبج بثورة تقنية هائلة .

12-انعدام الرؤية:-

وهذا سبب هام جداً مورث بامتياز للصراع الصحوي الإسلامي والباعث عليه، تقليدية الدروس العلمية والمحاضرات ومنع منافذ العقل والتفكير من أخذ مساحتها وجريتها، فيبيت الشيخ لا يفكر إلا في موضعه، ولا يكاد يتجاوز ظله، يعني (**محدود الأفق**) كما يقال، فلا عقله ينهض بمهمات الدعوة، ولا نفسه تفكر في ذلك، والثمرة الدعوية التقليدية، الإصلاح المتواضع الذي لا يبني ويؤسس، ويتأمل ويستشرف .

قال تعالى: " إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ "

والتوسم هو دقة التأمل والنظر، ولابد للدعاة أن يوسعوا من منائر عقولهم، ويستشرفوا الأحداث، ويرسموا الخطط والبرامج

البعيدة، ليصونوا الدعوة، ويحفظوها من المزالق، وليعدوا العُــدد لكل موقف وحارثــة، لأن هــذا الــدين أمانــة، وبلاغه واجب على الجميع وحينما نقصـــر، يحرمنا الله شـــرف حمله وتبليغه قـــال تعالى: " **وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمـاً غَيْـرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُـوا أَمْثَالَكُمْ** "

المخاطر:

لا شك أن اتساع دائـرة الفـراغ الصـحوي القيـادي، من شـأنه أن يخلق أزمـات، ويولد مشـاكل ليس بهينة على الصـعيد الـدعوي، لذلك وجبت المسارعة بتعليم فن القيادة وبالتثقيف الاسـتراتيجي للمسألة الدعوية، بحيث يحسن الخطـاب، ويـرتقي الفقـة، ويوجه الناشئة على بصيرة، ولا يحس العامة بدوامة الاضطراب العاتيــة، لاسيما إبان الخطوب والكوارث وقانا الله وإياكم شرها.

واليكم بعض المخاطر لمسألة الفراغ القيادي:-

1) تباين الخطاب:-

بمعنى الإطار العام للخطاب الدعوي يصبح مختلفاً ومتباينـاً، بحيث يحس السـامع برائحة التبـاين، ولا يتم الإتفـاق على نقـاط عامة، وأساسيات جوهرية بل يدرك الاختلاف والتضـارب بين أهل العلم والدعوة في منطقة واحدة ... لأنه لا يوجد من يضـبطهم أو يزمهم بزمام واحد.

وهــذه ضــريبة انعــدام القــادة الــدعويين، وغيــاب المــوجهين الاستراتيجيين،! يلقى خطابا متبابياً، وأحياناً متناقضــاً أو متنـاحراً، بحيث يجسد رزية النزاع المشار إليه سابقاً، والله المستعان.

2) استثمار الأعداء:-

أعظم ما يفـرح الأعـداء هو تنـازع أهل الخـير، المـورث للفـراغ المقصود، وغياب الرؤية والتخطيط البعيد المدى.

فيبدأ المنافقون وأشباههم تشحذون سنانهم للسـيطرة، وتصـدر المشهد، وتقوية شدة الـنزاع، وربما أشـادوا ببعض، على حسـاب بعض آخــر!! و ليس مقصــدهم الإ تعيق الشــقاق، وتضــخييم الهفوات، وجعله الجماعة الواحدة جماعات، أحزابا كما قال بعض

أعداء الدعوة الإسلامية وقد قال تعـالى: **" وَلا تَكُونُـوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ "**

3) ضعف الانتاجية:-

وهو نتيجة حتمية لكل تنـازع دعـوي يطل على السـاحة، بسـبب الفــراغ القيــادي، بل أحيانــاً لا تظهر إلانتاجيــة، بمعــنى غيابها وإنعـدامها! وهـذه طامة كـبرى، وهي ضـياع الأمـوال والطاقـات، وكل ضروب الاستعدادات !!

لابد أن تدرك أكـابر العلمـاء أن تـرك السـاحة بلا أعـداء وصـناعة وتثقيف، سيجر إلي مشـكلات عديـدة ليس أهونها ضـعف الانتـاج، بل حيازة الفشل التام، وجني الخسارة البالية، والله المستعان.

4) ضياع الساحة:-

وهذ تفصيل لأدواء النزاع والاهمـال والضـعف الإنتـاجي واسـتثمار الأعداء، بحيث يفقد الإسـلاميون كل أمـاكنهم ومنجـزاتهم، وتئـول مرافق الحيـاة إلى المنـافقين، واللاهين وراء التبـاب والشـهوات كما قال الله:-

" وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً "

فلا يمكن الإســلاميون من مقاليد الأمــور، وتفــوتهم الملتقيــات والمهرجانات!! بل ربما أخذت حتى المسـاجد من أيـديهم، وتلفق لهم تهم الإرهاب والتطـرف المجهـزة، وتغلق الجمعيـات الخيرية والإغاثية بالتهم نفسـها! كما هو جـار في بعض البلـدان، بل بـاتت طريقة عالمية، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

5) فشل المشاريع:-

لا يمكن لبيئة مبعــثرة، وبلا رؤوس ورمــوز أن تحــوز المشــاريع الدعوية فيها النضج والكمال ! بل ربما أنه لا يفكر فيها بتاتــاً، وإذا تمت وجهز شئ منهــا، لم تكن على الوجه المرضــي، وكشــفت غياب الفقة الـدعوي والرؤية المسـتقبلية الـتي تصـنع من القـادة وتتصور من خلال الرموز الواعية، والقدوات الثاقبة.

6) فشو المناكر:-

عنـدما تفقد السـيطرة على الأمـور، ويضـعف شـأن الإسـلاميين، سيقل الخير، وتضعف الدعوة .. وبالتـالي سـيتعاظم الشـر، ويعم

الفساد، لأن الـدنيا ظـرف لكثـير من الموبقـات، والنفـوس أن لم تشتغل بالحق والخير اشتغلت بالشر والباطل.

7) ضعف المواقف:-

حيث لا يبدو للدعوة كلمـات حواسم ولا أمـوال مراسم ، تجـاه ما يحصل من خطوب وبلايا عبر علماء أجلة، ودعاة كملـة، إذا قـالوا أنصت الناس، وسكت الجهلة والمنافقون .

وفائـدة ذلك دفع الإحـراج عن الـدعوة وعن رموزها الميـدانيين، الذين يهمهم سموها في الدعوة، ورقي معالمها، وأن لا تكون في موقف الضعف والاتهام.

طرق العلاج

هي عبــارة عن تلافي لتلك الأســباب والمزالــق، ومحاولة العمل على أضدادها وعدم الوقيعة فيها، ويمكن أن نجملها فيما يلي :

(1) رؤية الدروس العلمية :

يجب أن تتجــاوز الـدروس العلميــة، طريقها التقليدية ، وأن تحرص على التربية العلمية والفكرية والإعداديــة، وأن تفتح منافذ للتفكير الإبداعي، وأن تؤسس لحركة التطلع والطموح والرسوخ، بحيث يخـرج التلميذ منهــا، وقد وعى رسـالته في الحيـاة، عارفـاً بتخصصه ودوره، مهتماً بقضايا العلم والدعوه والإصلاح، كما قـال العلمــاء لقــارون الهالك (**وَقَــالَ الَّذِينَ أُوتُــوا العِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً) (القصص :80).**

والمطلوب من الدروس العلمية مايلي :

1) تجــاوز الطــرح التقليـدي، الــذي يخضع فيه الشــارح لسـلطة صاحب المتن.

2) فتح بـــاب الفقه الموضـــوعي أو الحـــوار والمناقشة تجـــاه المكتوب.

3) ربط الأفكار العلمية بالحياة المعاصرة، وتحرير مـوارد الاتفـاق والمخالفة.

4) تجريد العقليـات النـادرة، وترسـيخها لمهـام دعويه وإصـلاحية فعالة.

5) تحريك مكامن الإبداع الطلابي، وتحويله إلى ورقـات ملموسة كميورث ودراسات تلامس الحياة الاجتماعية.

6) عدم إغفـال هـذه الـدروس عن واقع الأمـة، لا سـيما ما يتعلق بالنوازل العصرية.

(2) تجديد المحاضن التربوية :

كل ما قبل في الدروس العلمية، يمكن أنه يقال شبهه تجاه المحاضن التربوية كالأسرة والحلق والمـدارس، ومراكز الشـباب وتجمعاتهم...

لا بد ان يظهر فيها روح التجديد والحيوية والنهــوض والبنـــاء، وترتبط بعصرها وتلتفت لمشاكل الشباب التفاتاً جوهرياً، وتغرس المثل العظمى من الصـــغر، وتبـــني فيهم روح العلم والعمل والإبداع والهمة، وتجاوز السـطحيه والتخلـف، وأن أمتهم ووطنهم ينتظر منهم الكثير من الجودة والرقي والتأسيس.

(3) حلم التمكين الإسلامي :

وتكوّنه الســعة المعرفيــة، ودقة الرؤيــة، وهي التطلع إلى عودة الإسلام سعيدا مجدياً، مطاعاً مهيباً.

قـــال تعـــالى : (الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَـــامُوا الصَّــلاةَ وَآتَــوُا الزَّكَــاةَ وَأَمَــرُوا بِــالْمَعْرُوفِ وَنَهَـوْا عَنِ المُنكَرِ) (الحج : 41).

وقــال **ســبحانه: (وَلَـوْلا دَفْـعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَــهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ) (البقرة:**251)

ومن مكوناته الأسى الشديد على ما بدده المسلمون من حضـارة وتقدم، والجهل بالتاريخ الســالف الميمــون، وعــدم وعي المعركة مع الأعادي والمنافقين.

ويحَ العروبة كان الكون مسرحها فأصـبحت تتـوارى في زواياهُ

(4) الخطاب الدعوي الحضاري :

وهو الذي يعلى من قيمة الإسلام، ويظهر عظمته، ويساير العصر، ويستوعب المنجزات الحديثة، بكل دراية ووعي وإتقان على حد قوله تعالى **: (وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ) (الأنفال : 60).**

ومثل هذا الخطاب يبرز الداعية، ويجعله محموداً مقبولاً بين الناس، ويحظى باحترام الآخرين، ولن يتم له ذلك إلا بالإخلاص، وسعة العمل والفكر التي هي أساسيات القيادة وصناعة القدوة المرتجاة.

عندئذ يرقى الخطاب الإسلامي، ويتجه إليه الأفهام والعباقرة، وتتسع شعبيته، ويبين الأكفاء، ويتبع الناس أهله الحاذقين، وأربابه المبدعين، الذي يكتب الله لهم القبول والانتشار.

بل إن مثل ذلك يدهش الأعداء، ويجعلهم يتفهمون كثيراً من القضايا الإسلامية، ويتحلون بقدر من الإنصاف، وهذا مكسب للدعوة الإسلامية، وخطط عالميتها وازدهارها.

ومن جراء ذلك تظهر القيادات الدعوية، والقدوات الروحية، التي تصون مسائل الدعوة عن كثير من الأخطاء والتجاوزات، حيث وسّد الأمر إلى غير أهله، وأريح الجهلة والمتاجرون.

(5) السبق الميداني :

ونعني به غشيان ميادين الناس، وتجمعاتهم، ومناشطهم، ولمس حياتهم الإجتماعية... ومثل ذلك يحدث مايلي :

1- سبق الإسلاميين وسيطرتهم.

2- علو كلمتهم.

3- بروزهم كعدول ثقات، يعتمد عليهم الناس في المآسي والحاجات.

4- قطع الطريق على الاتجاهات المناوئة للدعوة، والراغبة في العنب الأخلاقي، والفوضى الترفيهيه الذين قال اله **فيهم (وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً) (النساء :27).**

ولـذلك حينما نؤكد على السـبق الميـداني، فإننا نـدعوا المشـايخ والدعاة إلى النزول إلى الساحة، ومشاركة الناس، والخــروج من العزلة العلمية والتألفية، ليكون لهم الدور الأبرز، والعمل الأحكم، تجـاه حيـاة النـاس الاجتماعيـة. ومن خلال ذلك سـيترف النـاس عليهم، وسيعرف قدر رضاه أو سخطه على الدعوة وبرامجها.

ومن السبق الميداني صـناعة الملتقيـات والمراكز والمهرجانـات، الــتي تتلاءم مع وضــعية النــاس، وتلــبي شــيئاً من رغبــاتهم، والاســتفادة من وســائل الاعلام الحديثــة، وكل مخرجـات العصر الراقية بالعمل الدعوي.

(6) الخطوط المتوازية :

وهي التي يسبقها شكل من التنوع الدعوي.. علم، وفكر، وتربيـة، وحلق وعظة وشـباب وخـدمات الخ، ثم يحصل التلاقي والتـوازي بين كل تلك الاتجاهات، بحيث يسعى الجميع إلى مرضاة الله، ولا يــثرب بعضــهم على بعض، ويلبــون حاجـات النــاس المتنوعــة، وينفقون على معالم عامة وأساسية للعمل الدعوي.

<u>وهذا له ثمرات مهمة منها</u> :

1- تـوازٍ عـام وتـآخ ظـاهر، سـينتج تقـديم بعض الأكفـاء للمهـام الصعبة.

2- اصطناع صورة جمالية باهرة عن دعوى وأقطابها.

3- تجاوز كل المشكلات الصغيرة، وعدم بعثرتها أمام الجماهير.

4- تحقيق الصفاء النفسي، والقضـاء على كل مـداخل الشـيطان التفريعية.

5- إحـداث تضـامن عـام، ووحـدة دعوية في يـوم من الأيـام، ولا سـيما مع الاتفـاق على الأصـول والمنطلقـات... وتهـون بقية القضايا الفرعية.

(7) تصدير الأكفاء :

حينما تتفق الاتجاهـــــات الدعوية على قواعد عامة للعمل والمسـار، فسـيكون من المقيد والسـهل حينئذ تصـدير قيـادات،

أوتقديم رموز على صورة المرجعية للدعوة، وتهتم بالشأن العـام الدعوي.

وهذا انما يحسن إذا توافرت العناصر، وصدقت الرؤية، وتم الهمة والاهتمـام، وعنـدها سـيدرك الجميع أن القـاءات الشـعبية مهمة للـدعوة، تنظمهـا، وتضـبط مسـارها، وتصـلح من أخطائها واعوجاجها.

تم ما أريد تقييده هنا حول الفراغ الصحوي الاسـلامي، سائلا المولى الكـريم السـداد والتوفيق والحمد لله رب العالمين .